

## الصحة المهنية

تعتبر الصحة المهنية أحد ميادين علم النفس العمل والتنظيم. تهدف إلى وقاية الأفراد من المخاطر المهنية المختلفة، كحوادث العمل و الأمراض المهنية. كما تهتم بعلاج الحالات التي أصيبت بحدوث أو مرض مهني، بالتنسيق مع تخصصات الصحة العامة الأخرى ذات العلاقة بطبيعة الإصابة أو الحالة.

### ❖ مفهوم الصحة المهنية

لقد توسع مفهوم الصحة المهنية مع مر الزمن، فقد كان مقتصرًا على الوقاية التقنية للعامل في أماكن العمل. ثم تطور هذا المفهوم، وتوسع ليشمل كافة الإجراءات الوقائية والإحتياطات التقنية والطبية الهادفة إلى تأمين محيط آمن وصحي للعاملين. غير أن هذا المفهوم لا يمكن تجسيده على أرض الواقع إلا بإتباع إجراءات إستباقية (تنظيمية وتقنية)، للحيلولة دون وقوع الحوادث أو حدوث إصابات أو إنتشار أمراض مهنية بين العمال، وذلك بواسطة:

◀ إتخاذ مجموعة من الإجراءات والإحتياطات الوقائية ذات صبغة تنظيمية وتقنية، لتوفير أكبر قدر من الأمان، وتوفير ما يسمى بالبيئة الآمنة.

◀ تساع هذه الإجراءات والإحتياطات في صورة لوائح تنظيمية وتقنية وصحية وتربوية، لمنع أي إحتمال للخطر، مهما كان بسيطًا.

◀ تأخذ هذه الإجراءات والإحتياطات طبيعة دورية، روتينية، بحيث تتم متابعتها وتحديثها، وإختبار مصداقيتها دورياً ، دون إنتظار حدوث طارئ أو حادث.

وهو ما يضيف على الإستراتيجية الصحية في أماكن العمل صفة الديناميكية، كونها برنامج يومي، دوري عبر الزمان والمكان، يقوم به المكلفون بالصحة المهنية في أماكن العمل، إستباقاً لأي خطر قد يهدد صحة وسلامة العاملين، أو سلامة الأجهزة والمعدات التي يستعملونها.

تعالج الصحة المهنية في أماكن العمل في بعديها العضوي (الجسدي) والنفسي. حيث يكلف طبيب العمل بالجانب العضوي، ويكلف المختص النفسي بالجانب النفسي للصحة المهنية.

### ❖ طب العمل أو السلامة الجسدية:

يعد طبيب العمل أبرز المختصين في الصحة المهنية. حيث أسند له المشرع في معظم الدول دوراً أساسياً في تنفيذ برنامج الوقاية والأمان في أماكن العمل. ومن المهام الأساسية لطبيب العمل:

◀ الفحص: حيث يجري مختلف الفحوص على العمال: قبل الإلتحاق بالعمل، وأثناء العمل من خلال الفحوصات الدورية، أو بعد الإصابة في حالة تعرض العامل للإصابة بحدوث أو مرض مهني.

- ◀ المراقبة: يعتبر طب العمل أحد التخصصات الميدانية، التي تتطلب من المختص قضاء جزء كبير من وقته في المؤسسات وأماكن العمل التي يشرف عليها صحيا، لمراقبة ظروف العمل، والسعي لمعرفة العوامل المسببة للأمراض المهنية وحوادث العمل. مقدما النصح والإستشارة الطبية، بالتعاون مع مهندس الوقاية والأمن الصناعي والأخصائي في علم النفس العمل والتنظيم ومسؤولي المؤسسة.
- ◀ الإستشارة: يقدم طبيب العمل إستشاراته الطبية لمختلف الأطراف المعنية بالصحة المهنية: العمال ولجان الوقاية والأمن، والمسيرين، وحتى للمحاكم الإجتماعية (المكلفة بفض النزاعات العمالية)، في حالة نزاع بين أطراف العملية الإنتاجية.

### ❖ الصحة النفسية أو السلامة النفسية:

تعتبر الصحة النفسية للعامل أحد أهم إنشغالات المختصين في الصحة المهنية في المؤسسات الإنتاجية، حيث تزايد دور المختص النفسي نتيجة ظروف العمل المرهقة، التي فرضتها التقنية الحديثة و تيرة العمل المتسارعة، من توتر وإجهاد وضغوط مهنية ذات مصادر متنوعة.

يعتبر الإجهاد المهني (الضغط المهني) من أبرز موضوعات الصحة النفسية في الحياة المهنية، لأسباب عديدة، أهمها أن الضغط أو الإجهاد النفسي أصبح سمة من سمات الحياة المهنية المعاصرة، نتيجة تزايد متطلباتها.

يمكن تعريف مفهوم الإجهاد أو الضغط المهني، بأنه ذلك الخلل الجسدي أو النفسي، الناتج عن محيط العمل، الذي يتجلى في أعراض مثل القلق والتوتر والإنقباض والصداع وعسر الهضم. كما يمكن تعريفه إجرائيا، بأنه تلك الحالة النفسية والجسدية، الناجمة عن الضغوط الداخلية أو الخارجية.

يحدث الإجهاد كما ينقل مقدار (2006، 227) عن (Evens and Carrera 1991) بناء على إدراك الفرد أن الموقف الذي يواجهه، يهدده بطريقة أو أخرى، وأنه غير قادر على التحكم فيه.

يؤثر الإجهاد على مختلف مناحي الحياة لدى الفرد العامل، سواء تعلق ذلك بالجانب المهني أو الجانب النفسي أو العضوي.

- فمن الناحية المهنية، تشير معظم الدراسات إلى أن الإجهاد يؤثر سلبا على أداء الأفراد، مهما كانت مستويات الإجهاد، منخفضة كانت أم عالية، بإستثناءات جد محدودة، حسب الفروق الفردية لدى الأفراد.
- أما من ناحية الصحة النفسية للعاملين، فإن الإجهاد يؤدي في أقصى حالاته إلى الإحترق النفسي burnout ، الذي يقصد به ذلك الإنهاك exhaustion الذي يصيب البنية العقلية والوجدانية والبدنية للفرد، نتيجة التعرض المستمر للضغوط، مما يجعله غير قادر على المقاومة وعلى التكيف.
- يؤثر الإجهاد بشكل واضح على الصحة البدنية للأفراد، مثلما تشير أغلب الدراسات، حيث يكون الإجهاد هو السبب الكامن وراء معظم الأمراض العضوية، سواء من حيث نشأتها أو من حيث مضاعفة مخاطرها وإنتشارها، بإضعاف الجهاز المناعي لدى الفرد المعرض للإجهاد. مع الأخذ -دائما- بعين الإعتبار عامل الفروق الفردية (نفسيا وجسديا)، والفروق من حيث نموذج الحياة لدى كل فرد وظروفه البيئية.

يعتبر الإجهاد المهني من أبرز المظاهر السلبية للحياة المهنية المعاصرة، حيث إزداد إنتشاره بين كافة الفئات المهنية والإجتماعية والعمرية. وأصبح الإجهاد يدعى "القاتل الصامت" مثلما يقول مقداد (2006، 238). ونجد في مقدمة المتصددين له -كظاهرة- المختص في علم النفس العمل والتنظيم، نتيجة معاشته اليومية للإجهاد المهني في مواقع العمل. سواء على مستوى التشخيص أو الكشف عن الأسباب، وإقتراح إستراتيجيات التكيف، أو متابعة الحالات التي تعاني من آثاره السلبية، وغيرها. لقد خطى علم النفس العمل والتنظيم خطوات كبيرة في مجال تقنيات الكشف، كإختبارات الكشف المبكر عن أسباب الضغوط المهنية ودرجات الإجهاد وأنواعه، وإستراتيجيات وقاية العاملين، منذ مرحلة الإختيار والتوجيه، إلى مراحل المتابعة في أماكن العمل، بإعادة التوجيه أو التكوين والرسكلة، وإقتراح تغيير المناصب وتحسين ظروف ومحيط العمل.

### ❖ السلامة والأمان في أماكن العمل

تزايد الأخطار المهنية (والأخطار بصفة عامة) مع مر الوقت، بتزايد المكننة ودخول الآلة كافة مناحي الحياة -خاصة في عالم الشغل-، لذلك كان من الضروري الإعتناء بطرق و وسائل الأمان والسلامة في أماكن العمل. غير أن الأخطار المهنية متنوعة، من حيث أشكالها وأصنافها، مثل الأخطار الكيماوية، و الإشعاعية، والغازات المختلفة، والحرائق، والضحيج، والتلوث بمختلف أنواعه، وغيرها، حسب نوع النشاط المهني (صناعات كيماوية، أو بتروكيماوية، أو نووية، أو فلاحية، أو صيد بحري، أو غابات، إلخ..).

كما تختلف الأخطار المهنية من حيث مداها، أو مجال تأثيرها، فإحتراق مخزن للأحشاب يؤثر في مجال جغرافي محدود مقارنة بإنفجار محطة لتكرير بترول أو محطة لإنتاج الطاقة النووية. وأبرز الأمثلة التي تناولتها الدراسات خلال العقود الأخيرة، إنفجار مفاعل "تشرنوبيل" (Tchernobyl (Ukraine, ex. URSS) بأكرانيا (الإتحاد السوفياتي سابقا)، سنة 1986، الذي إكتسحت آثاره مجموعة من البلدان الأوروبية الغربية والشرقية. ومصنع المبيدات التابع لشركة "اليونان كابر بايد" (Union Carbide (Bhopal, Inde) بمقاطعة "البوبال" بالهند سنة 1984. وتسببه في هلاك الآلاف وإعاقة عشرات الآلاف من سكان المنطقة المجاورة للمصنع.

إن الأمثلة كثيرة، عن أنواع المخاطر المهنية التي يتعرض لها العاملون، أو محيط المؤسسة مصدر الخطر، إبتداء من حدوث حادث بسيط كالخريق المحدود، أو أصطدام مركبة، إلى إنحراف قطار أو سقوط طائرة أو إهيار جسر أو سد، أو غيرها. لذلك، كلما كانت إستراتيجية الأمان والسلامة فعالة، كلما تم الحد من المخاطر الصناعية والمهنية بصفة عامة. حيث لا توجد مهنة خالية تماما من المخاطر، رغم تفاوت درجة الخطورة، بين مهنة وأخرى، ومن قطاع مهني لآخر.

يعتبر التقييم المسبق للمخاطر من أحدث التقنيات لمواجهة المخاطر، والحد من آثارها. فمنذ سنة 1989، جعلت التوجيهات الأوروبية في مجال المخاطر، عملية التقييم المسبق للمخاطر في المؤسسات والمنظمات، أبرز شرط من الشروط القانونية للحد من المخاطر. مما أعطى لعملية التقييم هذه، نطاقا واسعا، بالإضافة إلى عملية التقييم الموضوعي (أي أثناء أو بعد حدوث حادث أو حصول خطر)، اعطت أهمية لعملية التقييم الذاتي (أي ما هي توقعات المختصين والأطراف المعنية لحدوث خطر، إحتمال ذلك، ونسبته، وماهي آثاره المتوقعة).

إن تقييم المخاطر (موضوعيا وذاتيا)، يلي تلك التوقعات التي تقتضي الوقاية من الحادث، مما يسمح لإستراتيجيات التقييم توقع الحادث وتلافيه، أو زيادة إنتباه وجاهزية المعنيين بالسيطرة عليه. تتم هذه العملية بإستخدام طرق وتقنيات علمية متعددة التخصص. أبرزها تقنيات علم النفس العمل والتنظيم، حيث برز في السنوات الأخيرة أحد فروعها الناشئة، الذي أصبح يصطلح على تسميته بعلم النفس المخاطر *la psychologie des risques*.

يعرف "كوايينون" وآخرون (2006, p. 9) Kouabenan et al. "علم النفس المخاطر بأنه تلك الدراسات النفسية التي تتناول كلا من تقييم المخاطر *evaluation des risques*، وإدراك المخاطر *perception des risques*، كموضوعات للدراسة والبحث، والتي تهدف في نهاية المطاف إلى معرفة الخطر، وتقييمه، وبالتالي توقعه، لتفاديه أو تسييره". (ترجمة المؤلف بتصرف).

إن إسهام علم النفس في عملية تسيير الأخطار *la gestion des risques* يبنّي على النظرة السلوكية، التي تركز على دور العنصر البشري في إحداث (أو التسبب) في الخطر، وكذلك دوره في معالجة الخطر. هذا العنصر البشري، الذي يتصرف (يسلك) في محيط إجتماعي، وتقني، وثقافي معين، يؤثر على سلوكه، ويوجه إختياراته وأفعاله.

إن موضوع الصحة المهنية الذي تناولناه من خلال هذا الفصل، موضوع واسع كونه يمس كافة مناحي النشاط البشري، سواء كان هذا النشاط مرتبطا بمحيط مهني معين، أو كان ذا علاقة بمواصلة حياة الفرد العادية داخل البنايات والأماكن المغلقة، أو في الفضاء الطلق. لذلك تدخل تخصصان رئيسيان في معالجة الصحة المهنية هما: طب العمل للإهتمام بالجانب العضوي، وعلم النفس للإهتمام بالجانب النفسي للفرد. حيث وحدا جهودهما للعمل على سلامة الأفراد (في بعديها الجسدي والنفسي) داخل أماكن العمل. غير أن مفهوم السلامة تطور توسع مع الوقت، حيث توسع مجاله الجغرافي، ولم يبقى مقترنا بأماكن العمل، بل أصبح يهتم بالمحيطين القريب والبعيد، لأن التقنية الحالية خلقت مخاطر عابرة للدول والقارات (كالمخاطر النووية مثلا). كما لم يبقى مفهوم الخطر مقتصرًا على الخطر الصناعي، بل تعداه إلى الخطر المهني، ثم تعدى الخطر المهني إلى الخطر المطلق (الخطر عموما)، الذي قد يكون ناتجا عن نشاط مهني أو نشاط غير مهني، وقد يكون ناتجا عن ظرف طبيعي (كالزلازل والأعاصير مثلا). إن هذا التوسع في تناول مفهومي السلامة والخطر، فتح آفاقا واسعة أمام علماء النفس للدراسة والتحري، وبالتالي التنبؤ بالسلوك في مختلف مواقع وحالات الخطر، وإيجاد الوسائل والطرق لتلافي الخطر أو التقليل من آثاره.